على هامش معالم التقريب *

قوة الطاقة الروحية

حين تكتمل قوة الطاقة الروحية وتتوهج تصير لصاحبها بمثابة موهبة خاصة .. لا يكاد صاحبها مع اكتمال وعيه وإدراكه وعقله وإرادته ـ لا يكاد يعرف الألم أو المشقة أو الخطر أو يحس بشيء من ذلك .. فهذه الطاقة قد رفعته فوق الالتفات للألم والمشقة والخطر .. بعيدا عن طائلة الخوف والقلق .. لا تصل إليه أصوات الطبيعة الأرضية ونداءاتها بالهرب مما يؤلم أو يشق أو يخيف !

يلاحظ محمد عبد الله ـ أن تأثير هذه الطاقة الروحية يتجلى أيضاً في الحب الحقيقي .. لأن هذا الحب الحقيقي علاقة باطنية ثمينة نادرة .. فيها يستغني المحب عن تمييز نفسه وتدليلها والانحياز إليها .. ويستغني أيضا عن النفاق والرياء والتصنع، وعن الحيلة لاصطياد المنزلة والمكانة، وعن طلب الاستعراض وكل تمثيليات ومسرحيات الحياة، وعن أن يكون له دور مهم فيها .. فالعلاقة العاطفية العميقة جدا لا يتبادل فيها المحبون إلا ما هو حقيقي، ولا يشعرون بأدنى حاجة إلى اصطحاب المجتمع وأوضاعه إلى داخلهم، فداخلهم عنى بما فيه، تجعل الإنسان مع داخله في حالة اتساق تام تبهت أمامه المظاهر الخارجية .

ولأن الأذكياء يدركون تبعات هذا الحب الحقيقي، تراهم يخافونه ويهربون منه إذا لاح، مخافة الثمن الذي لا يقوون على دفعه، لذلك

---

* العمل ٢٠١١/٣/١٧

يستعيض معظمهم عن الحب الحقيقى بالحب الاصطلاحى المتداول بين الناس .

يمهد محمد عبد الله محمد بهذه الوقفة، إلى النقلة التى تعنيه أكثر .. ماذا يلم بالمسلم فى العبادة الحقيقية ؟ مع هذه العبادة يشعر المسلم المتعبد بالطاقة الروحية شعورا حادا .. إذ غالبا ما تجمع العبادة الناجحة بين التأمل وبين الدعاء الصادق وبين الرضا الحقيقى بالألم والمشقة وبين الحب الحقيقى لله ورسوله وللناس .. تجمع العبادة هذه الأمور فى مجال تأثير خاص يزيد من كمال الطاقة الروحية وشدتها .. تستوى فى ذلك الأثر الفروض والنوافل .. بل ربما زاد الشعور بها فى النوافل، لخلوها من مصاحبة الإحساس بالإلزام وأداء الواجب الذى قد يصاحب أداء الفروض عند معظم الناس .. وفى القرآن المجيد : "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" (المزمل ٦).

ولأن الماديين ليس بوسعهم إنكار هذه الطاقة وأثرها، فإنهم يحاولون صرف الالتفات عن مصدرها الروحى، فيعزونها تارة بالإحالة إلى العقل الباطن وقوته، وتارة بالإحالة إليه وعلى الغريزة وطاقة الغريزة الأولى .. ويقولون إن هذه الطاقة قد انطفأت واستنفدت أغراضها أو كادت فى الإنسان .. بعد أن تطور مخه وسطع ذكاؤه، واستغنى بهذا الذكاء عن الاعتماد على تلك القوى الغيبية المظلمة !

وهذا وهم وهرب، لأن الطاقة الروحية - وهذا طابعها الفذ - طاقة قفز وارتياد .. بها يثب النوع الإنسانى من درجة إلى درجة .. وبواسطتها نمو العنق والبصر ورهف الأذن والسمع والحس لما وراء الحدود المألوف والمكرر والمتشابه.

ولم ينجح هذا الهرب، فى تفسير الومضات والرؤية الفريدة التى نبعت فجأة من طاقة روحية صادفت باحثين وعلماء موهوبين، تفردوا بها قفزات غير معهودة غطت كل القياسات والبراهين وحققت إشراقات لمعت كالبرق ووثبت وثبات هائلة غير مقدرة ولا محتملة، وشىء من هذه الومضات المذهلة عرفتها رؤية نيوتن وبسكال وديكارت ومندليف وأينشتين وغيرهم من الرواد فى العلوم الطبيعية الحديثة.

ولا يفوت محمد عبد الله محمد - ملاحظة أن هذه الومضات لم تظهر إلا لدى النوع الإنسانى، وخلت منها تماماً مملكة الحيوان - لماذا ؟ لأن الطاقة الروحية قصر على النوع الإنسانى، ولم يعط الحيوان شيئاً منها .. ولذلك لم يتحاوز الحيوان قط انحصاره فى التحديد والتكرار، ولم يستطع قط أن يخرج عن الأطر والأنماط التى جرت عليها أجياله عبر العصور .

وهنا تتجلى قيمة وعظمة الإنسان الذى أراد الله تعالى أن يجعله - دون غيره من الكائنات - خليفة فى الأرض .. فهذه الخلافة الإلهية هى أولا وأخيرا طاقة روحية.

هنا يتوقف محمد عبد الله محمد ليتأمل رد الملائكة على استخلاف الإنسان فيما رواه القرآن المجيد:

"وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ

سَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" (البقرة ٣١-٣٣) ..

لقد رفع الله قيمة الإنسان لأنه سبحانه وتعالى قد زوده بطاقة وحية قابلة على الدوام للنمو الذي يكفل نمو عقله وعاطفته معاً.

تتجلى هذه الطاقة الروحية أيضاً ـ فى الثقة الهائلة التى يشعر ها بعض الناس إزاء الخطر والأزمة الحالكة . فى الثقة فى النجاة أو نجاح أو النصر .. وهذه الثقة إيمان مصدره هذه الطاقة الروحية تى تنشط فى المحن والأخطار.

وثمة فارق بين الفن وبين الحرفة، يتجلى تبعاً لوجود وعدم وجود ذه الشحنة الروحية، كذلك الفارق بين الموهبة الحقيقية وبين هارة. هذه الطاقة الروحية منحة ربانية، ولد أو يولد بها كل إنسان معه نصيبه منها، وإليه إثراؤها أو خفوتها أو انطفاؤها . والخلاف لأساسى بين النقد الفلسفى، وبين الدين أى دين ـ هو وجود الطاقة روحية وضرورة تنشيطها . سبب ذلك أن النقد الفلسفى لا يعترف هذه الطاقة ولا يستطيع أن يتناول الدين إلا كفكر بشرى، وهذا نظر يرفضه الإسلام لأن البداية والنهاية فى حياة المسلم العقلية العاطفية هى الاتجاه إلى الله عز وجل . هو وحده الحق، سبحانه تعالى، وما عداه ظلال وخيالات وأوهام وأفكار وتصورات .. وهنا تجلى قوة الإيمان المصاحب للطاقة الروحية التى تمثل أهم معالم تقريب بين المسلمين كافة.